

الزحافات والعلل

تقديم

هي التغييرات التي تطرأ على التفعيلات، فمستفعلن مثلاً يتغير ويجوز أن يكون متفعلن وهكذا في باقي التفعيلات. وهذه التغييرات تسمى بالزحافات والعلل.

فالزحافات : هي تغييرات تطرأ على التفعيلات، لا تلزم غالباً، وقد تقع في العروض والضرب والحشو (بمعنى أنها قد تقع في كل التفعيلات في القصيدة).
والعلل : هي تغييرات تطرأ على التفعيلات، إذا استعملناها لزم غالباً أن نستعملها في جميع القصيدة، ولا تدخل هذه التغييرات إلا في العروض والضرب (بمعنى أنها لا تدخل إلا في آخر تفعيلة من كل شطر).

والعلل نوعان : علل زيادة، وعلل نقص. فالزيادة تكون تغييراً بزيادة في التفعيلة، والنقص عكسه.

مثال وإيضاح للزحاف

قلنا الزحاف : هو تغيير لا يلزم غالباً، وقد يقع في العروض والضرب والحشو. في بحر الكامل مثلاً وزنه :
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

فمثلاً إذا دخله زحاف وغير (متفاعِلن) إلى (مستفعلِن) فإنه لا يلزم منه أن تكون كل الأبيات على نفس القياس. وقد يدخل في العروض والحشو والضرب، فيجوز أن نقول :

متفاعِلن متفاعِلن مستفعلِن مستفعلِن متفاعِلن متفاعِلن
متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن مستفعلِن متفاعِلن متفاعِلن
مستفعلِن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن مستفعلِن مستفعلِن

فنلاحظ أن التغييرات لم تلزم أن تكون متشابهة في جميع الأبيات على قياس واحد. وإذا رجعنا مثلاً إلى معلقة عنترة بن شداد لوجدنا ذلك جلياً.

يقول عنترة :

هل غادر الشُّعراء من / متردم أم هل عرف/ت الدار بع/د توهم
مستفعلِن متفاعِلن متفاعِلن مستفعلِن مستفعلِن متفاعِلن
أعياءك رس/م الدار لم / يتكلم حتى تكل/م كالأصْف/م الأبيكم
مستفعلِن مستفعلِن متفاعِلن مستفعلِن متفاعِلن مستفعلِن
إلى آخر القصيدة [وهي من الكامل].

أنواع الزحاف

والزحاف نوعان: مفرد ومركب.

■ فالزحاف المفرد ما كان في موضع واحد من التفعيلة، كحذف السين من مستفعلِن، فتصير متفعلِن.

■ والزحاف المركب (ويسمى مزدوجاً أيضاً) ما كان في موضعين من التفعيلة، نحو حذف السين والفاء معا من مستفعلن، فتصير متعلن، فتنتقلها إن شئت إلى فَعَلْتَن (وهي بنفس الوزن العروضي).

عندنا ثمانية زحافات، هي:

- الإضمار: وهو تسكين الثاني المتحرك. ويدخل متفاعلاً فتصير مفاعلاً، وتقلب إلى مستفعلن.
- الوقص: وهو حذف الثاني المتحرك. ويدخل متفاعلاً فتصير مفاعلاً.
- الخبن: وهو حذف الثاني الساكن. ويدخل خمسة من التفاعيل وهي: فاعلن وفاعلاتن ومستفعلن ومستفعل لن ومفعولات، فتصير: فَعَلْن وفعِلَاتْن ومُتَفَعِّلْن ومُتَفَعَّلْن ومفعولات.
- الطي: وهو حذف الرابع الساكن، ويدخل تفاعيلتين هما: مستفعلن ومفعولات، فتصيران: مُسْتَفَعِّلْن (وتقلب إلى مُفْتَعِّلْن) ومفعولات. (ولا يدخل الطي متفاعلاً إلا مع الإضمار، دفعا لتوالي خمس حركات، وسيأتي في الزحاف المركب إن شاء الله).
- العصب: وهو تسكين الخامس المتحرك، ويدخل مفاعلتين، فتصير مفاعلتين، وتقلب إلى مفاعيلن.
- العقل: وهو حذف الخامس المتحرك، ويدخل مفاعلتين، فتصير مفاعلتين، وتقلب إلى مفاعيلن.
- القبض: وهو حذف الخامس الساكن، ويدخل فعولن ومفاعيلن فتصير فعول ومفاعيلن. (أما فاع لاتن فلا تكون إلا عروضاً أو ضرباً في البحر المضارع، ولا يدخلها القبض).
- الكف: وهو حذف السابع الساكن، ويدخل مفاعيلن وفاعلاتن وفاع لاتن ومستفعل لن فتصير مفاعيلن وفاعلاتن وفاع لاتن ومستفعل ل (ولا يدخل الكف مفاعلتين إلا مع العصب، دفعا لتوالي خمس حركات، وسيأتي في الزحاف المركب إن شاء الله).

مثال وإيضاح للعلة

قلنا العلة : هو تغيير يلزم غالباً، ولا يقع إلا في العروض والضرب. أيضاً في بحر الكامل مثلاً وزنه كما سبق :
متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

فمثلاً إذا دخلت على ضربه علة، وغيّرت (متفاعلن) إلى (متفا) بالنقصان، فإنه يلزم منه أن تكون كل القصيدة على ضربها (متفا) وهذا قد يدخل في العروض والضرب، وصورته في الضرب هكذا :

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفا
متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفا
متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفا

فلاحظ أن التغيير لزم جميع الأبيات على قياس واحد. وإذا رجعنا إلى أبيات لأبي دهب الجمحي وجدنا ذلك جلياً.

يقول أبو دهب الجمحي :

عَقَمَ النِّسَاءَ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيهَهُ إِنْ النِّسَاءُ بِمَثَلِهِ / عَثْمُ

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفا

نَزَرُ الكَلَامِ مِنَ الحَيَاءِ تَخَالَهُ صَوْنًا وَلِيٍّ / سِجْسَمِهِ / سَقْمُ

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفا

فائدة معرفة الزحافات والعلل

فأندتها تكمن في استطاعة الشاعر الخروج من وزن التفعيلة الأصلية، إذا أعياه الوزن مع السياق الذي اختاره، فيجد فيه فسحة وسعة، يتمكن من خلالها نظم الكلام على وزن معتبر، دون كسور ولا خلل. كما تمنحه الحرية في التلون الإيقاعي بما يناسب موضوعه وحالته النفسية واللغوية.

تنبيه : عرفت أن الشأن في الزحاف عدم اللزوم إذا وقع، وفي العلة اللزوم، ولكن قد يلزم الزحاف، كما قد تلزم العلة.